

ثمار الحوار في القرآن الكريم
من خلال قصة موسى عليه السلام وفرعون

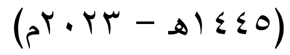
إعداد:

د. عبد العزيز بن جمال النعيم

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،

جامعة الملك فيصل، السعودية

البريد الالكتروني: Abdulazizalnaimb@gmail.com



(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)



الملخص:

يهدف البحث إلى بيان ثمار الحوار في القرآن الكريم من خلال قصة موسى وفرعون، وتظهر أهمية البحث في كونه من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، والذي يمكن من خلاله تحقيق نتائج وفوائد لا يحققها غيره، ويهدف البحث إلى بيان أهمية الحوار بالرفق واللين، وتأثيره في قبول الدعوة الإسلامية، وبيان ثمار الحوار الهادف في تصحيح العقائد، والتعايش مع الآخرين، والمساهمة في استقرار المجتمعات البشرية، والمنهج المتبع في البحث هو المنهج التاريخي، والتحليلي، وقد ختمت بحثي بعدد من النتائج توصلت إليها ومن أبرزها أن في حوار غير المسلمين؛ ومجادلتهم بالتي هي أحسن، والرفق في دعوتهم، ثماراً عظيمة، ستحقق أهدافها، وتظهر آثارها؛ ولو بعد حين، وكذلك أن للحوار أهمية وأثرا بالغا في تصحيح العقائد، والتعايش مع الآخرين، والمساهمة في استقرار المجتمعات البشرية، وأيضاً ضرورة الحوار مع المخالف؛ لما فيه من تعريف الملحدين؛ وغير المسلمين عموماً؛ بالإله الحق، وإقامة الحجة عليهم، كما أن للحوار أهمية وأثرا بالغا في تصحيح العقائد، والتعايش مع الآخرين، والمساهمة في استقرار المجتمعات البشرية، وكذلك ضرورة الحوار مع الكفار والملحدين المعاصرين؛ لما فيه من تعريف الملحدين؛ وغير المسلمين عموماً؛ بالإله الحق، وإقامة الحجة عليهم، وأيضا حاجة المجتمعات اليوم للحوار الهادف، القائم على الحجج والبراهين، مع عدم التنازل عن ثوابت الإيمان والتوحيد، كما أنَّ استقراء قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم، واستلهام فوائدها ودروسها؛ فيه ترشيدٌ وتصويبٌ لمنهج الدعاة، وحلولٌ لمشاكلهم، وجمعٌ لكلمتهم، وتوجيهٌ لهم نحو الفلاح والنجاح، ومنها عدم اليأس من استجابة العالم المعاصر لدعوة الإيمان والتوحيد، فإنهم لن يكونوا شراً من



فرعون، ولن يكون الداعية أفضل من موسى عليه السلام، وقد أمره الله تعالى أن يتلطف في دعوة فرعون، وذكرت بعض التوصيات ومنها: عقد دورات تدريبية تقدم لشرائح المجتمع وللدعاة خاصة تبين لهم الحوار وضوابطه وآدابه مجاناً أو بأسعار رمزية، وتصحيح مفهوم الحوار الذي يظهر عند كثير من الناس أنه مجرد الجدال المضيع للوقت والجهد، والتطبيق العملي المستمر لفنون الحوار للمعلمين والمدرسين في المدارس والجامعات، وأخيرا إبراز حوارات السابقين من سلف هذه الأمة بدأً بالنبي ﷺ ثم الصحابة والتابعين وضرورة الاقتداء بها.

الكلمات المفتاحية:

ثمار، الحوار، القرآن الكريم، قصة، موسى، فرعون.

The fruits of dialogue in the Holy Qur'an through the story of Moses, peace be upon him, and Pharaoh

Abdulaziz bin Jamal Al-Naeem

Department of Islamic Studies, College of Sharia and Islamic Studies, King Faisal University, Saudi Arabia

E-mail: Abdulazizalnaimb@gmail.com

Abstract:

The research aims to explain the fruits of dialogue in the Holy Qur'an through the story of Moses and Pharaoh, and the importance of the research appears in that it is one of the most important means of calling to God Almighty, through which results and benefits cannot be achieved by others. The research aims to explain the importance of dialogue with kindness and leniency, and its impact on Accepting the Islamic call, and explaining the fruits of dialogue aimed at correcting beliefs, coexistence with others, and contributing to the stability of human societies. The method used in the research is the historical and analytical method. I concluded my research with a number of results that I reached, the most prominent of which is that in dialogue with non-Muslims; Arguing with them in a



way that is best, and being gentle in their call, will yield great fruits that will achieve its goals and show its effects. Even after a while, dialogue also has great importance and impact on correcting beliefs and coexistence with others, contributing to the stability of human societies, and also the necessity of dialogue with the violator; Because of the definition of atheists; and non-Muslims in general; with the true God, and establishing evidence against them. Dialogue also has great importance and impact in correcting beliefs, coexistence with others, and contributing to the stability of human societies, as well as the necessity of dialogue with contemporary infidels and atheists. Because of the definition of atheists; and non-Muslims in general; With the true God, and establishing the argument against them, and also the need of societies today for purposeful dialogue, based on arguments and proofs, while not compromising on the constants of faith and monotheism, just as extrapolating the stories of the prophets, peace be upon them, in the Holy Qur'an, and drawing inspiration from their benefits and lessons; It rationalizes and corrects the approach of preachers, And solutions to their problems, gathering their words, and directing them towards prosperity and success, including



not despairing of the contemporary world's response to the call of faith and monotheism, for they will not be worse than Pharaoh, and the preacher will not be better than Moses, peace be upon him, and God Almighty commanded him to be gentle in calling upon Pharaoh, and I mentioned Some recommendations include: holding training courses offered to segments of society and preachers in particular, explaining to them dialogue, its controls, and etiquette for free or at nominal prices, correcting the concept of dialogue, which appears to many people to be merely argumentation that wastes time and effort, and continuing practical application of the arts of dialogue for teachers and instructors in schools and universities, and finally Highlighting the dialogues of the predecessors of this nation, starting with the Prophet, may God bless him and grant him peace, then the Companions and Followers, and the necessity of emulating them.

key words

Fruits, Dialogue, The Holy Quran, Story, Moses, Pharaoh.



المقدمة

الحمد لله الذي حفظ كتابه من التحريف والتبديل، وأغنى المسلمين بشريعته عن الاحتياج إلى ما في التوراة والإنجيل، والصلاة والسلام على نبينا محمد الهادي إلى سواء السبيل، وعلى آله وأصحابه الكرام الذين كانوا أهل عناية وأمانة، وحفظٍ ودراية، ومن بعدهم العلماء العاملين الذين حفظوا لنا هذا الشرع العظيم، وضبطوا ما فيه بفهم عميق، وصانوا لنا هذا الدين، ونقلوه إلى من جاء من بعدهم –رضوان الله عليهم– أجمعين، ونفعنا بهم وبعلمهم آمين آمين...

أما بعد:

فإن موضوع الحوار يُعد من أهم الوسائل التي تملكها الأمة كما يملكها الفرد على حد سواء للتواصل مع الآخرين، فالحوار نمط حياة وأسلوب تفكير، وقد أولى القرآن الكريم عناية كبيرة بالحوار، فهو الأسلوب الغالب في قصص الأمم السابقة وهو الأداة الأولى للأنبياء وأتباعهم في نشر الدعوة، وهو الوسيلة الأولى في عرض مسائل العقيدة، ودعوة غير المسلمين اليوم، والحوار معهم بالتي هي أحسن، والرفق في دعوتهم، وعدم اليأس من استجابة العالم المعاصر لدعوة الإيمان والتوحيد، فإنهم لن يكونوا شراً من فرعون، ولن يكون الداعية أفضل من موسى عليه السلام، وقد أمره الله تعالى أن يتلطف في دعوة فرعون.

ولا شك أن حوار غير المسلمين؛ ومجادلتهم بالتي هي أحسن؛ والرفق في دعوتهم سيعطي ثمارَهُ، ويؤتي أُكُلَه، ويحقق أهدافه؛ ولو بعد حين؛ كما سنلاحظ في حوار موسى وفرعون .

ولذلك رأينا أن يكون محور هذا البحث: (ثمار الحوار في القرآن الكريم من خلال قصة موسى وفرعون).



أهمية الموضوع: يَستمد الموضوع أهميته مما يلي:

١- تبرز الدراسة أهمية الحوار باعتباره من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، والذي يمكن من خلاله تحقيق نتائج وفوائد لا يحققها غيره .

٢- تبين الدراسة ثمار الحوار في تصحيح العقائد والتعايش مع الآخرين، والمساهمة في استقرار المجتمعات البشرية .

٣- تفيد الدراسة الباحثين في مجال الدعوة الإسلامية، وكذلك العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، والذين يتصدون للانتصار للإسلام بالحوار الهادف.

٤- تبين الدراسة جدوى الحوار مع غير المسلمين؛ وأنه لا يزال الطريق الأمثل؛ والأسلوب الأجدر؛ لإقناع الآخرين.

٥- حاجة المجتمعات اليوم للحوار الهادف، القائم على الحجج والبراهين، مع عدم التنازل عن ثوابت الإيمان والتوحيد.

٦- حاجة المكتبة الإسلامية إلى بحث مستقل يتناول ثمار الحوار مع غير المسلمين؛ باستقراء قصة موسى وفرعون.

أسباب اختيار الموضوع:

١- لأهمية الموضوع الذي أشرت إليها سابقاً .

٢- إسهاماً في خدمة كتاب الله تعالى، وذلك باستقراء قصص الأنبياء عليهم السلام، الواردة في القرآن الكريم، واستلهام الدروس المهمة من تلك القصص .

٣- رغبةً في الإسهام في إقامة الحجة على غير المسلمين، ودفع الشبهات؛ والفاسد من القول والرأي؛ الناشئ لديهم عن التصور المغلوط لدين الإسلام.

٤- الحاجة الماسة لمعرفة ثمار الحوار الهادف في تصحيح العقائد، والتعايش مع الآخرين، والمساهمة في استقرار المجتمعات البشرية.

٥- عدم إلمام الكثير من الجاليات الإسلامية المقيمة في الدول الغربية لهذا الموضوع؛ الذي يشكل بالنسبة لهم أهمية كبيرة في دعوة غير المسلمين، والحوار معهم .

٦- الرغبة في رفد المكتبة الإسلامية للتفسير وعلوم القرآن؛ والدعوة الإسلامية، بكل جديد من الأبحاث والدراسات المتعلقة بهذه المجالات الهامة.

أهداف البحث :

١- خدمة كتاب الله تعالى، وذلك باستقراء قصص الأنبياء عليهم السلام، الواردة في القرآن الكريم، واستلهام الدروس المهمة من تلك القصص .

٢- بيان أهمية الحوار بالرفق واللين، وتأثيره في قبول الدعوة الإسلامية.

٣- تعريف الملحدين وغير المسلمين بالإله الحق، وإقامة الحجة عليهم.

٤- بيان ثمار الحوار الهادف في تصحيح العقائد، والتعايش مع الآخرين، والمساهمة في استقرار المجتمعات البشرية.

٥- إفادة الجاليات الإسلامية المقيمة في الدول الغربية بهذا الموضوع؛ الذي يشكل بالنسبة لهم أهمية كبيرة في دعوة غير المسلمين، والحوار معهم.

٦- رفد المكتبة الإسلامية للتفسير وعلوم القرآن؛ والدعوة الإسلامية، بكل جديد من الأبحاث والدراسات المتعلقة بهذه المجالات الهامة.

منهج البحث: المنهج المتبع في البحث هو (المنهج التاريخي، والتحليلي) .

وسأتبع في كتابتي لهذا البحث الخطوات التالية :

١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

٢- تخريج الأحاديث ،والآثار الواردة, فإن كانت في الصحيحين؛ اكتفيت بورودها فيهما أو في أحدهما, وإن لم تكن في أحدهما؛ ذكرتها والحكم.

٣- توثق النصوص المنقولة من مصادرها .

٤- توثيق القراءات من مصادرها المعتمدة, مع نسبتها لأصحابها.

٥- ذكر النتائج والتوصيات في الخاتمة.

٦- ختم البحث بالفهارس المهمة مرتبة.

خطة البحث :

٧- تتكون خطة البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس.

٨- المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وأهداف البحث، ومنهج البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: ثمار الحوار في دعوة الملحد، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عدم اليأس من دعوة الملحدين .

المطلب الثاني: الحوار بالرفق واللين من أسباب قبول الدعوة .

المطلب الثالث: تعريف الملحدين بالإله الحق وإقامة الحجة عليهم .

المطلب الرابع: تسلية الرسول بما وقع بين موسى وفرعون .

المبحث الثاني: ثمار الحوار في تصحيح العقائد، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: البدء في تصحيح العقائد بتوحيد الربوبية .

المطلب الثاني: الاستدلال بالمخلوقات على إثبات الخالق .

المطلب الثالث: محاورة رؤساء الملحدين أمام العامة لدحض باطلهم .

المطلب الرابع: الإعراض عن الأسئلة المتعنتة في حوار الملحدين .

المبحث الثالث: ثمار الحوار في التعايش مع الآخر، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الدعوة إلى حسن التعايش مع الآخر .

المطلب الثاني: القيام بحقوق الأقارب من غير المسلمين .

المطلب الثالث: احترام خصوصية الأديان والمقدسات الدينية .

المبحث الرابع: ثمار الحوار في استقرار المجتمع، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: إسهام الحوار في استنقاذ المستضعفين .

المطلب الثاني: إقرار الحرية وإنكار العبودية .

المطلب الثالث: عدم إغفال دعوة الملوك مع الرعية المخاطبين بالدعوة .

المطلب الرابع: ترسيخ الثقة بأن العاقبة والغلبة للحق وأهله .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج، وأبرز التوصيات التي أخلص إليها في هذا البحث.

الفهارس: وتشتمل: ثبت المصادر والمراجع ، فهرس الموضوعات.



المبحث الأول: ثمار الحوار في دعوة الملحد

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عدم اليأس من دعوة الملحدين.

لقد أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بالذهاب إلى دعوة أكثر الطواغيت طغياناً، وأشد الملحدين إلحاداً، وهو فرعون ملك مصر، كما قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)﴾ [طه:٤٢-٤٤].

وفي هذا بيان عموم الدعوة، وأنها تعم كل البشر، بما في ذلك أهل الكفر والإلحاد، وأن لا ييأس المسلم من دعوتهم، وأنه يجب التلطف في دعوتهم أكثر من غيرهم، وأن ذلك أدعى لاستجابتهم وتقبلهم للدعوة.

يقول ابن عطية، في بيان هذا المعنى:" أمر الله تعالى موسى وهارون في هذه الآية بالنفوذ إلى دعوة فرعون، وخاطب موسى وحده تشريفا له، ويحتمل أن هارون أوحي إليه مع ملك أن ينفذ، و﴿بِآيَاتِي﴾، معناه بعلاماتي التي أعطيتكموها، من معجزة وآية ووحي، وأمر ونهي، كالتوراة. والقول اللين: أمرهما بتحسين الكلمة. وهذا هو الوجه، وذلك أن كل من يريد دعاء إنسان إلى أمر يكرهه، فإنما الوجه أن يحرر في عبارته بالمعنى الذي يريد، حتى لا يخل به ولا يحز منه، ثم يجتهد بعد ذلك في أن تكون عبارته لطيفة، ومقابلته لينة، وذلك أجلب للمراد، فأمر الله تعالى موسى وهارون أن يسلكا مع فرعون إكمال الدعوة في لين من القول"(١).

ويؤكد الواحدي هذا المعنى في "تفسيره"، حيث يقول: "قوله: ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٤/٤٥).



يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] أي: ادعواه على الرجاء والطمع، لا على اليأس من فلاحه، فوقع التعبد لهما على هذا الوجه، لأنه أبلغ لهما في دعائه إلى الحق، وقد كشف الزجاج عن هذا المعنى، فقال: المعنى في هذا عند سيبويه: اذهبا على رجائكما وطمعكما، والعلم من الله قد أتي من وراء ما يكون، وإنما تبعث الرسل وهم يرجون ويطمعون أن يقبل منهم"(١).

ويقول القشيري؛ في تفسير الآيات السابقة:" إنما أمرهما بالملاينة معه في الخطاب لأنه كان أول من دعوه إلى الدين، وفى حال الدعوة يجب اللين، فإنه وقت المهلة، فلا بد من الإمهال ريثما ينظر، قال الله لنبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]، وهو الإمهال حتى ينظروا ويستدلوا، وكذلك قال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴾[سبأ:٤٦]، ثم إذا ظهر من الخصم التمرد والإباء؛ فحينئذٍ يقابل بالغلظة والحتف.

ويقال: علمهما خطاب الأكابر ذوي الحشمة، ففرعون- وإن كان كافراً- إلا أنه كان سلطان وقته، والمتسلط على عباد الله.

ويقال: إذا كان الأمر في مخاطبة الأعداء بالرفق والملاينة؛ فكيف مع المؤمن؟ وإذا كان رفقه بمن جحده؛ فكيف رفقه بمن وحده؟ وإذا كان رفقه بالكفار فكيف رفقه بالأبرار(٢)؟!

(١) التفسير الوسيط، للواحدي، (٣/ ٢٠٨).

(٢) تفسير القشيري (لطائف الإشارات) (٢/ ٤٥٩).



المطلب الثاني: الحوار بالرفق واللين من أسباب قبول الدعوة.

إن من أهم دواعي الاستجابة لدعوة الحق قيامها على الحوار المصحوب بالرفق واللين، والموعظة الحسنة، والمجادلة والمناظرة بالتي هي أحسن، وهو من أهم الثمار المستفادة من حوار موسى مع فرعون، وهو أسلوب الأنبياء والرسل في محاورة ومناظرة الفراعنة والجبابرة، فضلاً عمن دونهم من الناس، وقد أمر الله تعالى بذلك نبينا عليه الصلاة والسلام، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥].

يقول أبو منصور الماتريدي؛ في تفسير دلالة هذه الآية: في الآية دلالة تعليم المناظرة في الدِّين وكيفية المعاملة – بعضهم لبعض – فيها؛ حيث قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾، التي عنده بالقرآن أو غيره من الحجج والبينات، ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، هكذا يجب أن يناظر بعضهم بعضًا بالوجه الذي وصف الله، وعلى ذلك ما ذكر الله في كتابه: مناظرة الأنبياء والرسل مع الفراعنة والأكابر، وهو ما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾[البقرة: ٢٥٨]، وقوله: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾[الأنعام:٨٠]، ومناظرة فرعون مع موسى – صلوات الله عليه – حيث قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الشعراء:٢٣]، وقوله: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾[الأعراف:١٠٧]، وما قال: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)﴾[طه:٤٩–٥٠]، وأمثاله مما يكثر، فهذه مناظرة الرسل والأنبياء مع الفراعنة والأعداء؛ فكيف المناظرة بين الأولياء؟! فهذا كله يرد على من يأبى المناظرة في الدِّين ويمتنع عن التكلم فيه والاحتجاج.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [النجم :٣٠]، فيه نسبتهم إلى الضلال إشارة وكناية لا تصريحًا؛ لأنه لم يقل لهم مصرحًا: إنكم قد ضللتم عن

سبيله؛ لحسن معاملته التي علم رسوله وأمره أن يعاملهم بها؛ لأن ذلك أقرب إلى القبول، وأَمْيل إلى القلوب، ألا ترى أنه قال لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[طه:٤٤](١).

وقال أيضاً: وقد أمر الله عباده أن يعامل بعضهم بعضا بالرحمة واللين، كقوله لموسى وهارون –حيث أرسلهما إلى فرعون– فقال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، وكان اللين في القول أنفذ في القلوب، وأسرع إلى الإجابة، وأدعى إلى الطاعة؛ من الخشن من القول، وذلك ظاهر في الناس؛ لذلك أمر الله – عَزَّ وَجَلَّ – رسله باللّيِن من المعاملة، والرحمة على خلقه، وجعله سبب تأليف القلوب وجمعها، وجعل الخشن من القول والفظ سبب الفرقة(٢).

ويؤكد ذلك الفخر الرازي، فيقول في "تفسيره": كلام الناس مع الناس إما أن يكون في الأمور الدينية أو في الأمور الدنيوية، فإن كان في الأمور الدينية فإما أن يكون في الدعوة إلى الإيمان وهو مع الكفار، أو في الدعوة إلى الطاعة وهو مع الفاسق، أما الدعوة إلى الإيمان فلا بد وأن تكون بالقول الحسن، كما قال تعالى لموسى وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه: ٤٤]، أمرهما الله تعالى بالرفق مع فرعون مع جلالتهما، ونهاية كفر فرعون، وتمرده وعتوه على الله تعالى، وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩] (٣).

ومثل هذا الأسلوب النبوي الفريد، من الدعوة بالرفق واللين، هو ما ينبغي على الدعاة في هذا العصر التحلي به في دعوتهم، لأن ذلك أدعى لقبول الدعوة، وبقاء أثرها في قلوب المدعوين.

---

(١) تفسير الماتريدي (٦/ ٥٩٦).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٥١٥).

(٣) التفسير الكبير، للرازي، (٣/ ٥٨٩).

المطلب الثالث: تعريف الملحدين بالإله الحق وإقامة الحجة عليهم.

إن من ثمار الحوار في دعوة الملحدين تعريفهم بالإله الحق، ودينه الذي ارتضاه لعباده، وأن فيه سعادة العباد في الدارين، ولا يشترط قبول كل الملحدين للدعوة، وإيمانهم بها، بل إن مجرد تعريفهم بدعوة التوحيد، وتبليغهم بها كاملة وشاملة وواضحة؛ يعد من ثمار الحوار الكبرى، لما فيه من إقامة الحجة عليهم، ولكونه يترك أثراً في قلوبهم، يدفعهم لاستجابة الدعوة، واعتناق الدين الحق؛ ولو بعد حين.

يقول الزجاج؛ في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[طه: ٤٤]:

لعل في اللغة ترجٍّ وطمع، تقول: لَعلي أصير إِلَى خيرٍ، فمعناه أرجو وأطمع أن أصير إلى خير، واللَّه – عزَّ وجلَّ – خاطب العبادَ بما يعقلون، والمعنى عند سيبويه فيه: اذْهَبَا عَلَى رَجَائكما وَطَمَعَكُمَا. والعلم من الله عزَّ وجلَّ قد أتى من وراء ما يكون، وقد علم الله عزَّ وجلَّ أنه لا يتذكر ولا يخشى، إلا أن الحجة إنما تجب عليه بالإبانة، وإقامتها عليه بالبرهان، وإنما تبعَثُ الرسُل وهي لا تعلم الغيب، ولا تدري أيقبل منها أم لا، وهم يرجون ويطمعون أن يقبل مِنهم، ومعنى " لعل " متصور في أنفسهم، وعلى تصور ذلك تقوم الحجة(١).

وبنحو ذلك قال الزمخشري في تفسير الآية، حيث قال: والترجي لهما، أي: اذهبا على رجائكما وطمعكما، وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله، ولا يخيب سعيه، فهو يجتهد بطوقه، ويحتشد بأقصى وسعه. وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن؛ إلزام الحجة، وقطع المعذرة(٢).

(١) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣/ ٣٥٧).

(٢) الكشاف للزمخشري(٣/ ٦٥).

ولما كان الحوار الدعوي مع غير المسلمين متميزاً ومختلفاً عن غيره من الحوارات؛ وهو أهم أنواع الحوار وأعظمها، حيث عمد أنبياء الله وورثتُهم من العلماء والدعاة إلى حوار الكافرين بغية تعريفهم بدين الله وإنقاذهم به، فالحوار الدعوي أحد أعظم وسائل الدعوة إلى الإسلام، حيث يعمد المحاور المؤمن إلى تبيان مبادئ الإسلام وفضائله ويوضح لمحاوريه ما أعده الله للمؤمنين به من عظيم الأجر وحسن المثوبة، وما توعد به الكافرين من أليم عذابه وعقابه.

ولما كان لا يتصور رجوع الناس عن معتقداتهم وإلفهم لمجرد عظة سمعوها، إذ تثور في الأذهان تساؤلات تبحث عمن يجيب عنها، ويجلي الحق فيها، كان لا بد من الحوار.

لذا تتركز موضوعات حوار الدعوة حول التعريف بالله تبارك وتعالى وصفاته، وبالإيمان ونواقضه، وباليوم الآخر وسبيل النجاة والخلاص فيه.

ولذلك لزم أن يكون متضمناً لسمات ومزايا خاصة، يمكن استقراؤها من حوار موسى عليه السلام مع فرعون، ومن حوارات الأنبياء مع قومهم من الملحدين، وقد أجملها بعض العلماء فيما يلي:

– الهدف من حوار الدعوة، الدعوة إلى الإسلام والسعي إلى إقناع الآخرين بأن الإسلام هو دين الله الذي لا يقبل الله من العباد غيره.

– التركيز في مجادلة أهل الكتاب على القضايا العقدية الفاصلة، ومحاجتهم، ومناظرتهم، لدحض شبهاتهم، ونقض حججهم، بأسلوب علمي رفيق، ثم مباهلتهم إن لزم الأمر.

– أخذ المسلمين بزمام المبادرة في هذا اللون من الحوار، إذ هو استجابة لطبيعة دينهم، ويتحقق ذلك باستضافتهم في دار المسلمين، واستقبال وفودهم، والكتابة إليهم، وغشيانهم في محافلهم وبيوتهم لدعوتهم، إذ الدعوة والبلاغ واجب المسلم بمقتضى إسلامه.



- تغلب الصفة والعلاقات الشخصية على هذا اللون من ألوان الحوار الذي يبتعد عن الصفة الرسمية التي تغلب على حوار التعامل والتعايش كما سيتبين في حينه.

والمتتبع لما ورد ذكره في القرآن عن أحوال الأنبياء يظهر له أهمية هذا اللون من ألوان الحوار، الذي لم تُغفِله دعوة نبي منهم أو مصلح ممن تبعهم بإحسان. فها هو نوح عليه السلام يجادل ويحاور قومه قروناً طويلة، من غير كلل ولا ملل، دعاهم ليلاً ونهاراً، أسر لهم، وأعلن لهم جهاراً، فقالوا: ﴿ قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) ﴾[هود: ٣٢]، وعلى هذا الهدي سار أنبياء الله من بعد نوح، فقصَّ الله علينا في القرآن حوار إبراهيم مع النمرود، وحوار موسى مع فرعون، بل وذكر لنا الكثير من حوار الأنبياء مع أقوامهم(١).

(١) ينظر: الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه، منقذ بن محمود السقار، (ص: ٢٥).



المطلب الرابع: تسلية الرسول بما وقع بين موسى وفرعون.

ومن جملة ثمار الحوار في دعوة الملحدين، التي تستفاد من حوار موسى عليه السلام مع فرعون؛ تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بما وقع بين موسى وفرعون، لكي يهون عليه ما حصل معه من معاندة ومكابرة كفار قريش، وندب منه لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الاستنان في الصبر عليهم بسنن أولي العزم من الرسل.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧)﴾ [الزخرف: ٤٦-٤٧]، يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين، كما قلت أنت لقومك من قريش. إني رسول الله إليكم، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾[الزخرف:٤٧]، يقول: فلما جاء موسى فرعون وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله، فيما يدعوهم إليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة، إذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون، كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعبر يسخرون، وهذا تسلية من الله عزّ وجلّ لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، عما كان يلقى من مشركي قومه، وإعلام منه له، أن قومه من أهل الشرك لن يعدو أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على منهاجهم في الكفر بالله، وتكذيب رسله، وندب منه لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الاستنان في الصبر عليهم بسنن أولي العزم من الرسل، وإخبار منه له أن عقبى مردتهم إلى البوار والهلاك كسنته في المتمردين عليه قبلهم، وإظفاره بهم، وإعلائه أمره، كالذي فعل بموسى عليه السلام، وقومه الذين آمنوا به من



إظهارهم على فرعون وملئه(١).

وهذا ما أكده الفخر الرازي في "تفسيره"، حيث يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ [النازعات:١٥]، اعلم أن وجه المناسبة بين هذه القصة وبين ما قبلها من وجهين: الأول: أنه تعالى حكى عن الكفار إصرارهم على إنكار البعث، حتى انتهوا في ذلك الإنكار إلى حد الاستهزاء، في قولهم: ﴿تلك إذاً كرةٌ خاسرةٌ﴾ [النازعات: ١٢]، وكان ذلك يشق على محمد صلى الله عليه وسلم، فذكر قصة موسى عليه السلام، وبين أنه تحمل المشقة الكثيرة في دعوة فرعون، ليكون ذلك كالتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، الثاني: أن فرعون كان أقوى من كفار قريش، وأكثر جمعاً، وأشد شوكة، فلما تمرد على موسى أخذه الله نكال الآخرة والأولى، فكذلك هؤلاء المشركون في تمردهم عليك؛ إن أصروا أخذهم الله وجعلهم نكالاً(٢).

ويقول القشيري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) ﴾ [الفرقان:٣٥]، قلما يجرى في القرآن لنبينا- صلى الله عليه وسلم- ذكر إلا ويذكر الله عقيبه موسى عليه السلام. وتكررت قصته في القرآن في غير موضع تنبيها على علو شأنه، لأنه كما أن التخصيص بالذكر يدل على شرف المذكور فالتكرير في الذكر يوجب التفصيل في الوصف لأن القصة الواحدة إذا أعيدت مرات كثيرة كانت في باب البلاغة أتم لا سيما إذا كانت في كل مرة فائدة زائدة. ثم بين أنه قال لهما: ﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) ﴾ [الفرقان:٣٦]. أي: فذهبا، فجحد القوم، فدمرناهم تدميراً، أي أهلكناهم إهلاكاً.

---

(١) جامع البيان للطبري (٢١/ ٦١٣-٦١٤).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٣١/ ٣٨).



وفى ذلك تسلية للنبي- صلى الله عليه وسلم- فيما كان يقاسيه من قومه من فنون البلاء، ووعد له بالجميل في أنه سيهلك أعداءه كلهم(١).

وقد أشار ابن عادل في "تفسيره"؛ إلى ما في ذكر قصة موسى مع فرعون، وحواره معه، من تسلية لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام، حيث يقول: قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطانٍ مبين﴾، الآيات. لما سلَّى رسوله بذكر الكفار الذين كذبوا الأنبياء قبله، وبمشاهدة آثارهم، سلَّاه أيضاً بذكر قصة موسى عليه الصلاة والسلام، وأنه مع قوته ومعجزته؛ بعثه إلى فرعون وهامان وقارون؛ فكذبوه، وقالوا: ساحرٌ كذاب(٢).

ويقول المراغي؛ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ (١١)﴾ [الشعراء:١٠-١١]، بعد أن ذكر سبحانه سوء حال المشركين وشدة عنادهم وقبيح لجاجهم- سَلَّى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك؛ بأن قومه ليسوا ببدع في الأمم، وأنه ليس بالأوحد في الأنبياء المكذبين، فقد كذّب موسى من قبلك على ما أتى به من باهر الآيات، وعظيم المعجزات، ولم تغن الآيات والنذر فحاق بالمكذبين ما كانوا به يستهزئون، وأخذهم الله بذنوبهم وأغرقهم في اليم جزاء اجتراحهم للسيئات، وتكذيبهم بعد ظهور المعجزات، وما ربك بظلام للعبيد(٣).

---

(١) تفسير القشيري (٢/ ٦٣٦).

(٢) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (١٧/ ٣٦).

(٣) تفسير المراغي (١٩/ ٤٩).



المبحث الثاني: ثمار الحوار في تصحيح العقائد، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: البدء في تصحيح العقائد بتوحيد الربوبية.

لعل من أهم ثمار الحوار في القرآن الكريم بين موسى وفرعون؛ البدء في تصحيح العقائد بتوحيد الربوبية، لأنه الأساس في التوحيد، وهو كذلك الطريق إلى توحيد الألوهية، ولذلك نجد أن موسى عليه السلام بدأ به مع فرعون، لعظم أهميته، ولإبطال دعوى فرعون للربوبية، ولذلك أمر الله تعالى موسى وفرعون أن يبدؤوا به، كما قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه:٤٧].

والبدء بإيضاح قاعدة رسالتهما: ﴿إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ﴾، يشعر منذ اللحظة الأولى بأن هناك إلها هو ربه، وهو رب الناس، فليس هو إلها خاصا بموسى وهارون أو ببني إسرائيل، كما كان سائدا في خرافات الوثنية يومذاك أن لكل قوم إلها أو آلهة ولكل قبيلة إلها أو آلهة. أو كما كان سائدا في بعض العصور من أن فرعون مصر إله يعبد فيها لأنه من نسل الآلهة، ثم إيضاح لموضوع رسالتهما: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ﴾. ففي هذه الحدود كانت رسالتهما إلى فرعون. لاستنقاذ بني إسرائيل، والعودة بهم إلى عقيدة التوحيد، وإلى الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أن يسكنوها.

ويقول أبو حيان، مبيناً وجه الابتداء بذكر الربوبية، فيقول: "فقولا إنا رسولا ربك وخاطباه بقولهما ربك تحقيرا له وإعلاما أنه مربوب مملوك إذ كان هو يدعي الربوبية. وأمرا بدعوته إلى أن يبعث معهما بني إسرائيل ويخرجهم من ذل خدمة القبط وكانوا يعذبونهم بتكليف الأعمال الشاقة من الحفر والبناء ونقل الحجارة



والسخرة في كل شيء مع قتل الولدان واستخدام النساء[١].

وحينما بدأ موسى حواره مع فرعون بإثبات الربوبية لله تعالى وحده، ونفيها عن فرعون، الذي ادعاها ولبس بها على جهلة قومه، عدل فرعون إلى الهروب والمغالطة، والخروج عن موضوع الحوار، وهو إثبات الربوبية لله تعالى وحده؛ ونفيها عن غيره؛ فحول فرعون الكلام إلى السؤال عن الأمم الماضية، كما قال تعالى عن حوار موسى وفرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣)﴾ [طه: ٤٩–٥٣].

يقول الشوكاني في بيان هذا المعنى: "لما سمع فرعون ما احتج به موسى في ضمن هذا الكلام على إثبات الربوبية؛ كما لا يخفى من أن الخلق والهداية ثابتان بلا خلاف، ولا بد لهما من خالق وهاد، وذلك الخالق والهادي هو الله سبحانه لا رب غيره. قال فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾؟ فإنها لم تقر بالرب الذي تدعو إليه يا موسى، بل عبدت الأوثان، ونحوها من المخلوقات، ومعنى البال: الحال والشأن، أي: ما حالهم؛ وما شأنهم؟ وسؤال فرعون عن القرون الأولى مغالطة لموسى، لما خاف أن يظهر لقومه أنه قد قهره بالحجة"[٢].

وهذا ما ينبغي أن يبدأ به الدعاة في كل زمان ومكان، من التركيز على توحيد الربوبية، والتوصل من خلاله لتأكيد توحيد الألوهية، والأسماء والصفات.

---

(١) البحر المحيط، لأبي حيان (٧/ ٣٣٨).

(٢) فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٤٣٦).

المطلب الثاني: الاستدلال بالمخلوقات على إثبات الخالق.

إن المتتبع لحوار موسى مع فرعون يجد أن من ثمار ذلك الحوار؛ فيما يتعلق بأمر العقائد؛ الاستدلال بالمخلوقات على إثبات الخالق، وذلك أدعى لدحض كلام فرعون، وإفحامه وإرغامه، لأن الاستدلال بالمخلوقات العظيمة المشاهدة؛ والتي يعجز فرعون عن الإتيان بمثلها؛ أوضح دلالة على بطلان ربوبية فرعون، ولذلك استدل موسى عليه السلام بالمخلوقات العظيمة المشاهدة، كالسماء والأرض، والمشرق والمغرب، وإنزال المطر، وإخراج النبات، كما قال تعالى عن حوار موسى وفرعون:﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)﴾ [الشعراء:٢٣-٢٨].

يقول مكي بن أبي طالب؛ في تفسير الآيات السابقة: قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ العالمين﴾، أي: قال فرعون: وأي: شيء رب العالمين. قال موسى: ﴿قَالَ رَبُّ السماوات والأرض﴾ أي: مالكهن، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ﴾، فأجابه موسى بصفات الله التي يعجز عنها المخلوقون، ولم يكن عنده رد على موسى[(١)].

وهذا ما يفيده كلام البغوي في "تفسيره"، حيث يقول في تفسير هذه الآيات: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣)﴾، يقول: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله، يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه، مما هو، وهو سؤال عن جنس الشيء، والله منزه عن الجنسية، فأجابه موسى عليه السلام، بذكر أفعاله التي

(١) الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب، (٨/ ٥٢٨٩).



يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها:﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) ﴾، أنه خلقها. قال أهل المعاني: أي كما توقنون هذه الأشياء التي تعاينونها؛ فأيقنوا أن إله الخلق هو الله عز وجل، فلما قال موسى ذلك؛ تحير فرعون في جواب موسى(١).

فلما غلب موسى فرعون بالحجة، ولم يجد من تقريره على التربية حجة، رجع إلى معارضة موسى في قوله: ﴿ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، فاستفهمه استفهاماً عن مجهول من الأشياء.

فأتى موسى بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق، وقد سأل فرعون عن الجنس ولا جنس لله تعالى، لأن الأجناس محدثة، فعلم موسى جهله فأضرب عن سؤاله، وأعلمه بعظيم قدرة الله، التي تبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها. وزاد موسى في البيان بقوله: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾، فجاء بدليل يفهمونه عنه، لأنهم يعلمون أنه قد كان لهم آباء، وأنهم قد فنوا، وأنه لا بد لهم من مغير، وأنهم قد كانوا بعد أن لم يكونوا، وأنهم لا بد لهم من مكون.

فقال فرعون حينئذ على جهة الاستخفاف: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧)﴾ [الشعراء:٢٧]، أي ليس يجيبني عما أسأل، فأجابه موسى عليه السلام عن هذا بأن قال: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾، أي ليس ملكه كملكك، لأنك إنما تملك بلداً واحداً، لا يجوز أمرك في غيره، والذي أرسلني يملك المشرق والمغرب، ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

ثم لما انقطع فرعون لعنه الله في باب الحجة؛ رجع إلى الاستعلاء والتغلب، فتوعد موسى بالسجن، ولم يقل: ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك، لأن فيه

---

(١) تفسير البغوي، (٣/ ٤٦٥).

الاعتراف بأن ثم إلهاً غيره. وفي توعده بالسجن ضعف[١].

ويقول ابن كثير في توضيح سياق هذا الاستدلال: ﴿قَالَ﴾ أي: موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبهة، فأجاب موسى بقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: هو الذي جعل المشرق مشرقا تطلع منه الكواكب، والمغرب مغربا تغرب فيه الكواكب، ثوابتها وسياراتها، مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها، فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقا فليعكس الأمر، وليجعل المشرق مغربا، والمغرب مشرقا، كما أخبر تعالى عن ﴿ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) ﴾ [البقرة:٢٥٨] ؛ ولهذا لما غلب فرعون وانقطعت حجته، عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه[٢].

ومثل الآيات السابقة في استدلال موسى بالمخلوقات على إثبات الخالق؛ قوله تعالى عن حوار موسى وفرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣)﴾ [طه: ٤٩-٥٣].

يقول ابن عطية في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً﴾ [طه:٥٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (١٣/ ٩٨).

(٢) تفسير ابن كثير، (٦/ ١٣٩).



انظر إن هذا الأشياء التي ذكرها موسى عليه السلام هي مما تقضي بداية العقول أن فرعون وكل بشر بعيد منها، لأنه لو قال هو القادر الرازق المريد العالم، ونحو هذا من العبارات، لأمكن فرعون أن يغالط، فيقول: أنا أفعل هذا كله، فإنما أتاه موسى عليه السلام بصفات لا يمكنه أن يقول: إن ذلك له(١).

ويقول الفخر الرازي؛ في بيان استدلال موسى؛ في الآيات السابقة: اعلم أن موسى عليه السلام استدل على إثبات الصانع بأحوال المخلوقات، وهو قوله:﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)﴾[طه:٥٠]، وهذه الدلالة هي التي ذكرها الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) ﴾ [الأعلى: ١-٣]. وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) ﴾[الشعراء:٧٧-٧٨]، وإن موسى عليه السلام في أكثر الأمور يعول على دلائل إبراهيم عليه السلام(٢).

ويشير البيضاوي إلى استدلال موسى عليه السلام في ما تقدم من الآيات، ويؤكد أن استدلاله وجوابه عليه السلام في غاية البلاغة، حيث يقول: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ ﴾: من الأنواع ﴿ خَلْقَهُ ﴾: صورته وشكله، الذي يطابق كماله الممكن له، أو أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، ﴿ ثُمَّ هَدَى ﴾: ثم عرفه كيف يرتفق بما أعطي، وكيف يتوصل به إلى بقائه وكماله، اختياراً أو طبعاً، وهو جواب في غاية البلاغة، لاختصاره، وإعرابه عن الموجودات بأسرها، على مراتبها، ودلالته على أن الغني القادر بالذات المنعم على الإطلاق هو الله تعالى، وأن جميع ما عداه مفتقر إليه، منعم عليه،

(١) المحرر الوجيز لابن عطيه، (٤/ ٤٨).

(٢) التفسير الكبير، للرازي، (٢٢/ ٥٧).

في حد ذاته وصفاته وأفعاله، ولذلك بهت الذي كفر، وأفحم عن الدخل عليه، فلم ير إلا صرف الكلام عنه[١].

وذكر ابن عادل في "تفسيره"؛ أن استدلال موسى عليه السلام بالمخلوقات؛ هي نفس الدلالة التي ذكرها الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام، وهي الدلالة التي استدل بها إبراهيم – عليه السلام على قومه، فيقول في هذا السياق:

استدل موسى عليه السلام – على إثبات الصانع بأحوال المخلوقات، وهو قوله: ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾، وهذه الدلالة هي التي ذكرها الله تعالى لمحمد – عليه السلام – في قوله: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) ﴾ [الأعلى: ١– ٣]. وقال إبراهيم – عليه السلام –: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) ﴾[الشعراء:٧٧–٧٨]، واعلم أن الخلق عبارة عن تركيب القوالب والأبدان، والهداية عبارة عن إيداع القوى المدركة والحركة في تلك الأجسام، فالخلق مقدم على الهداية[٢].

---

(١) تفسير البيضاوي، (٤/ ٢٩).

(٢) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (١٣/ ٢٦٦).

المطلب الثالث: محاورة رؤساء الملحدين أمام العامة لدحض باطلهم.

مما يتبادر للمتتبع لقصة موسى عليه السلام مع فرعون في القرآن الكريم؛ أن من أهم ثمار الحوار التي تستفاد من حوار موسى عليه السلام مع فرعون؛ محاورة رؤساء الملحدين أمام العامة لدحض باطلهم، وبيان وجه الحق لهم، وإقامة الحجة عليهم، ولذا نجد أن موسى عليه السلام اتفق مع فرعون أن يكون الموعد بينهم يوم الزينة، وهو يوم عيد لهم يجتمع فيه أهل مصر، وأن يجتمع الناس جميعاً فيه، كما قال تعالى عن ذلك: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩)﴾ [طه:٥٧-٥٩].

يقول الطبري في تفسير الآيات، وبيان معنى ﴿ يَوْمُ الزِّينَةِ ﴾: يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون، حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعداً للاجتماع: ﴿موعدكم﴾ للاجتماع ﴿ يَوْمُ الزِّينَةِ ﴾، يعني يوم عيد كان لهم، أو سوق كانوا يتزينون فيه، ﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ﴾، يقول: وأن يساق الناس من كل فج وناحية ﴿ ضُحًى ﴾، فذلك موعد ما بيني وبينك للاجتماع[١].

ويقول الثعلبي؛ في بيان معنى ﴿ يَوْمُ الزِّينَةِ ﴾، وسبب اختياره:

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾، قال ابن عباس، وسعيد بن جبير: يعني يوم عاشوراء.

وقال مقاتل، والكلبي: يوم عيد لهم في كل سنة يتزينون ويجتمعون فيه. وروى جعفر عن سعيد قال: يوم سوق لهم، وقيل: هو يوم النيروز، ﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾، وقت الضحوة، يجتمعون نهاراً جهاراً، ليكون أبلغ في الحجة،

(١) جامع البيان للطبري، (١٨/ ٣٢٣-٣٢٤).

وأبعد من الريبة[١].

ويؤكد هذا المعنى الواحدي في "تفسيره"؛ حيث يقول: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ أَيْ: وقتُ موعدكم يوم الزِّينة، وهو يوم عيدٍ كان لهم، ﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾، يريد: يجمع أهل مصر في ذلك اليوم نهاراً، أراد موسى صلوات الله عليه أن يكون أبلغ في الحجَّة، وأشهر ذكراً في الجمع[٢].

وقد أحسن الزمخشري في توضيح هذا المقصد غاية الوضوح، وتبيينه أعظم بيان، حيث عبر عن مراد موسى عليه السلام من تحديد هذا اليوم، وحشر واجتماع أولئك القوم؛ ولخصه بعبارة بليغة وجيزة، حيث قال: وإنما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله؛ وظهور دينه؛ وكبت الكافر؛ وزهوق الباطل؛ على رءوس الأشهاد، وفي المجمع الغاص، لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق، ويكل حدّ المبطلين وأشياعهم، ويكثر المحدث بذلك الأمر العلم في كل بدو وحضر، ويشيع في جميع أهل الوبر والمدر[٣].

وقد أوضح ذلك أيضاً محمد رشيد رضا؛ في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) ﴾ [الأعراف:١١٩]، حيث قال: ﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) ﴾، أي: فغلب فرعون وملؤه في ذلك المجمع العظيم، الذي كان في عيد لهم، ويوم زينة من مواسمهم، ضربه موسى موعداً لهم بسؤالهم، كما بين في سورة طه: ﴿قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى﴾، لتكون الفضيحة ظاهرة مبينة لجماهير الناس، ولم يقل: فغلبهم موسى؛ لأن ذلك لم يكن بكسبه وصنعه. ﴿ وَانْقَلَبُوا﴾؛ أي: عادوا من ذلك المجمع صاغرين أذلة، بما رزئوا به من الخذلان والخيبة، وإنما خص هذا

---

(١) تفسير الثعلبي، (٦/ ٢٤٩).

(٢) الوجيز، للواحدي، (ص: ٦٩٨).

(٣) الكشاف، للزمخشري، (٣/ ٧١).

بفرعون وملئه، وكان المتبادر أن يكون للسحرة أولاً، ولفرعون بالتبع، أو للجميع على سواء؛ لأنه تعالى بين ما كان من عاقبة السحرة بقوله: ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) ﴾، وخروا سجداً كأنما ألقاهم ملقٍ؛ لشدة خرورهم، والمراد أن ظهور بطلان سحرهم، وإدراكهم فجأة لحقيقة موسى عليه السلام، وعلمهم بأنها من عند الله تعالى، لا صنع فيها لمخلوق، قد ملأت عقولهم يقيناً، وقلوبهم إيماناً، فكان هذا اليقين في الإيمان البرهاني الكامل، والوجداني الحاكم على الأعضاء والجوارح، هو الذي ألقاهم على وجوههم سجداً لله رب العالمين، الذي بيده ملكوت الخلق أجمعين، ولم يبق في أنفسهم أدنى مكان لفرعون، وعظمته الدنيوية الزائلة، ولا سيما وقد ظهر لهم صغاره أمام هذه الآية[١].

ومن هنا يتوجب على الدعاة في هذا العصر الاهتمام بالمحافل العامة، ووسائل التواصل الاجتماعي، التي يرتادها ملايين البشر، واستغلالها لنشر الدعوة الإسلامية، والعقيدة الصحيحة، وعدم ترك تلك الساحات والمحافل فارغة لأعداء الإسلام من اليهود والصليبيين والملحدين.

---

(١) تفسير المنار، (٩/ ٦١).

المطلب الرابع: الإعراض عن الأسئلة المتعنتة في حوار الملحدين.

ومن ثمار الحوار في دعوة الملحدين الإعراض عن الأسئلة المتعنتة، التي تصدر من بعض الملحدين على سبيل التعنت والمكابرة، لا على سبيل معرفة الحق، وهذا منهج شرعي في التعامل مع الملحدين، يستفاد من حوار موسى عليه السلام مع زعيم الإلحاد فرعون، كما حدث في الحوار بينهما، في قوله تعالى: ﴿قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ (٢٣) قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)﴾ [الشعراء:٢٣-٢٤].

فانظر كيف سأل فرعون عن الإله بلفظ «ما»، التي يسأل بها عما لا يعقل، فقال: ﴿ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ ﴾؟ ولكن موسى أعرض عن لفظه ومقتضاه، وأخبر بما يصح في وصفه تعالى، فقال: ﴿ قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)﴾، [الشعراء: ٢٤].

وهكذا يكون التعامل مع الأسئلة المتعنتة للملحدين، بالإعراض عن لفظها وصورتها، والإجابة بما يجب بيانه، باللفظ الشرعي، وبالاستدلال العلمي، الذي يتعلق بأصل المسألة وأساسها.

يقول القشيري في تفسير الآيات السابقة: ﴿ قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ (٢٣)﴾ [الشعراء:٢٣]، نظر اللعين بجهله، وسأل على النحو الذي يليق بغيه فسأل بلفظ «ما»، و«ما» يستخبر بها عما لا يعقل، فقال: ﴿ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ﴾؟

ولكن موسى أعرض عن لفظه ومقتضاه، وأخبر عما يصح في وصفه تعالى فقال: ﴿ قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)﴾، [الشعراء: ٢٤]، فذكر صفته- سبحانه وتعالى- بأنه إله ما في السماوات والأرض.

فأخذ في التعجب، وقال: ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ



آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦)﴾ [الشعراء:٢٥-٢٦]. ﴾، قال موسى: ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾، فحاد فرعون عن سنن الاستقامة في الخطاب، وأخذ في السفاهة قائلا: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) ﴾، لأنه يزعم أن هناك إلهاً غيره. ولم يكن في شيء مما يجرى من موسى- عليه السلام- أو مما يتعلق به وصف جنون. ولم يشتغل بمجاوبته في السفاهة، فقال:﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) ﴾[الشعراء:٢٨]، أي إن كنتم من جملة من له عقل وتمييز(١).

ويقول الزمخشري، مبيناً وجه سؤال فرعون، وأنه خرج مخرج التعنت والإنكار، لا مخرج طلب معرفة الحق، حيث يقول: ﴿ قالَ فِرْعَوْنُ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ (٢٣)﴾ [الشعراء:٢٣]، لما قال له بوابه إن هاهنا من يزعم أنه رسول رب العالمين، قال له عند دخوله: ﴿ وَما رَبُّ الْعالَمِينَ ﴾؟ يريد: أي شيء رب العالمين. وهذا السؤال لا يخلو: إما أن يريد به أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها، فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة، ليعرفه أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض، وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[الشورى: ١١]، وإما أن يريد به: أي شيء هو على الإطلاق، تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي، فأجابه بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة اثباته بصفاته، استدلالاً بأفعاله الخاصة على ذلك. وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فكر العقول، فتفتيش عما لا سبيل إليه، والسائل عنه متعنت غير طالب للحق. والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام؛ أن يكون سؤاله هذا إنكارا لأن يكون للعالمين رب سواه، لادعائه الإلهية، فلما أجاب موسى بما أجاب، عجب

---

(١) تفسير القشيري (٣/٩).

قومه من جوابه، حيث نسب الربوبية إلى غيره، فلما ثنى بتقرير قوله، جننه إلى قومه، وطنز به، حيث سماه رسولهم، فلما ثلث بتقرير آخر: احتد واحتدم، وقال: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي ﴾[الشعراء:٢٩]، وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير(١).

ويقول ابن عطية، في تبيين وجه هذا السؤال: ولما لم يجد فرعون في هذا الطريق من تقريره على التنزيه وغير ذلك حجة؛ رجع إلى معارضة موسى في قوله: ﴿رسول رب العالمين﴾، فاستفهمه استفهاماً عن مجهول من الأشياء، كما يستفهم عن الأجناس، فلذلك استفهم بـ(ما)، فأتى موسى عليه السلام بالصفات التي تبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها، وهي ربوبية السماوات والأرض.

وهذه المجادلة من فرعون تدل على أن موسى عليه السلام دعاه إلى التوحيد، فقال فرعون عند ذلك: ﴿أَلا تَسْتَمِعُونَ﴾، على وجه الإغراء والتعجب من شناعة المقالة، إذ كانت عقيدة القوم أن فرعون ربهم ومعبودهم، والفراعنة قبله كذلك، وهذه ضلالة، منها في مصر وديارها إلى اليوم بقية[٢].

ويؤكد هذا المعنى المفسر الخازن، فيقول: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣)﴾؟ يقول: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله؟ أي يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه، وهو سؤال عن جنس الشيء، والله تعالى منزه عن الجنسية والماهية، فلهذا عدل موسى عن جوابه، وأجابه بذكر أفعاله، وآثار قدرته، التي تعجز الخلائق عن الإتيان بمثلها، ﴿ قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)﴾، [الشعراء: ٢٤]، أنه خالقهما فاعرفوا أنه

---

(١) الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٧).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية، (٤/ ٢٢٨).

لا يمكن تعريفه إلا بما ذكرته لكم، فإن أيقنتم بذلك لزمكم أن تقطعوا أنه لا جواب لكم عن هذا السؤال؛ إلا ما ذكرته من الجواب(١).

---

(١) تفسير الخازن (٣/ ٣٢٣).



المبحث الثالث: ثمار الحوار في التعايش مع الآخر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدعوة إلى حسن التعايش مع الآخر.

ومن روائع ثمار الحوار؛ التي تستفاد من حوار موسى عليه السلام مع فرعون؛ الدعوة إلى حسن التعايش مع الآخر، وهي من الثمار التي ينبغي التركيز عليها في هذا العصر، الذي أصبح فيها العالم بأسره بمثابة قرية واحدة، لسهولة وتطور وسائل الاتصالات والمواصلات، مما يحتم الدعوة إلى حسن التعايش مع الآخر، مع المحافظة على خصوصية الدين والمعتقد، وقد ضرب موسى عليه السلام أروع الأمثلة على ذلك؛ في حواره مع فرعون، حيث التزم في ذلك الحوار بالرفق والتلطف ولين القول، كما قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)﴾ [طه:٤٢-٤٤]. وهذا من أروع وأرقى صور التعايش مع الآخرين، وقد وقع ما بين كليم الله موسى عليه السلام، وبين شر الخلق عدو الله فرعون، فالتعايش بين من هو دون الأول في الفضل؛ ودون الثاني في الشر؛ أولى وأحرى.

يقول أبو حامد الغزالي، في بيان هذا المعنى: ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون؛ إذ وعظه واعظ؛ وعنف له في القول؛ فقال: ارفق يا رجل، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق، فقال تعالى: ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾. فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم[1].

وإن الضرورة الحياتية تدفع للبحث عن قواسم مشتركة نبني عليها علاقاتنا،

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي (٢/ ٣٣٤).

وهو ما يملي على المختلفين في عقائدهم ومذاهبهم اللجوء إلى لون آخر من ألوان الحوار، وهو حوار التعامل، وهو حوار بعيد عن أصول الدين والمعتقد، حوار تفرضه السياسة الشرعية، وتمليه طبيعة التعايش بين البشر؛ بحكم الجوار والمصالح المتبادلة.

وقد بينت الشريعة بنصوصها أو بقواعدها العامة الأسس والضوابط المتعلقة بهذا اللون من ألوان الحوار.

وقد ظهر مثل هذا اللون من حوار التعامل والتقارب المعيشي منذ نشأة الدولة الإسلامية في المدينة، حيث عقد النبي – صلى الله عليه وسلم – عهوداً مع يهود المدينة، كما أبرم صلح الحديبية مع كفار قريش، وحوى الفقه الإسلامي بمذاهبه المختلفة تراثاً ضخماً في مجال العلاقات الدولية التي بينت للمسلمين أصول التعامل مع مختلف البشر(١).

ومن صور التعايش التي تستفاد من قصة موسى عليه السلام مع فرعون، أنه اقتصر على تذكير فرعون، وطلب منه إرسال بني إسرائيل، ولم يفرض عليه ترك دينه، أو يقاتله على ذلك، كما قال تعالى عنه: ﴿وَقَالَ مُوسى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ (١٠٥)﴾ [الأعراف:١٠٤-١٠٥].

يقول ابن عطية؛ في هذا الشأن: وظاهر الآية وغيرها: أن موسى عليه السلام لم تنبنِ شريعته إلا على بني إسرائيل فقط، ولم يدع فرعون وقومه إلا إلى إرسال بني إسرائيل، وذكره لعله يخشى أو يزكى ويوحد كما يذكر كل كافر، إذ كل نبي داع إلى التوحيد وإن لم يكن آخذا به ومقاتلا عليه، وأما إن دعاه إلى

---

(١) ينظر: الحوار مع أتباع الأديان – مشروعيته وآدابه، للسقار، (ص: ٣١).

أن يؤمن ويلتزم جميع الشرع فلم يرد هذا نصا، والأمر محتمل، وبالجملة فيظهر فرق ما بين بني إسرائيل وبين فرعون والقبط، ألا ترى أن بقية القبط وهم الأكثر لم يرجع إليهم موسى أبدا ولا عارضهم وكان القبط مثل عبدة البقر وغيرهم وإنما احتاج إلى محاورة فرعون لتملكه على بني إسرائيل(١).

وهذا اللون من الحوار مشروع وجائز، فقد شهد النبي – صلى الله عليه وسلم – في شبابه حلف المطيبين الذين اتفقوا على رد المظالم وإعانة المظلوم، وهو لون من اللقاء حول أسباب التعايش.

وحين بُعث عليه الصلاة والسلام أكد مشروعية مثل هذا العمل النبيل والتزامه به، فقال: «ما شهدت من حلف إلا حلف المطيبين وما أحب أن أنكثه، وأن لي حمر النعم»، وفي رواية أنه قال: «ولو دعيت به اليوم في الإسلام لأجبت». وفي رواية: «لو دعيت به في الإسلام لأجبت؛ تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها، وألا يعز ظالم مظلوماً»(٢). فقد أقر – صلى الله عليه وسلم – اللقاء مع الكافر على مثل هذه القيمة النبيلة والخصلة الحميدة.

قال ابن حجر، في بيان أهداف هذا الحلف: وكان حلفهم أن لا يعين ظالم مظلوما بمكة، وذكروا في سبب ذلك أشياء مختلفة، محصلها أن القادم من أهل البلاد كان يقدم مكة فربما ظلمه بعض أهلها، فيشكوه إلى من بها من القبائل فلا يفيد، فاجتمع بعض من كان يكره الظلم ويستقبحه، إلى أن عقدوا الحلف، وظهر الإسلام وهم على ذلك(٣).

---

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية، (٢/ ٤٣٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣/١٩٣)، رقم (١٦٥٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١/١٩٩)، رقم (٥٦٧)، والحاكم في المستدرك (٢/٢٣٩)، رقم (٢٨٧٠)، عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، (٤/ ٤٧٣).



المطلب الثاني: القيام بحقوق الأقارب من غير المسلمين.

ومن ملهمات الحوار بين موسى وفرعون؛ وثماره التي يستفاد منها في دعوة المسلم المعاصر لغيره؛ القيام بحقوق الأقارب من غير المسلمين، وحسن التعايش معهم، على اختلاف دينهم ومعتقدهم، ويتمثل ذلك في اعتراف موسى عليه السلام بنعمة فرعون عليه، في القيام بتربيته، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾.

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: قوله تعالى: ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾، اختلف الناس في معنى هذا الكلام، فقال السدي، والطبري، والفراء: هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الإقرار بالنعمة، كأنه يقول: نعم، وتربيتك نعمة عليَّ، من حيث عبدت غيري وتركتني، ولكن لا يدفع ذلك رسالتي[١].

ومن الاعتراف بنعمة الأقربين، والقيام بحقوقهم، وعدم نكرانها، تلطف موسى عليه السلام في دعوته لفرعون، ولين القول معه، والحرص على هدايته، كما قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)﴾ [طه:٤٤].

يقول النسفي، مبيناً وجه العلاقة بين لين القول وحق التربية:

قوله تعالى: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً﴾، الطفا له في القول، لما له من حق تربية موسى[٢].

ويؤكد القشيري هذا المعنى في "تفسيره"، حيث يقول:

يقال: إنه أحسن تربية موسى عليه السلام، فأراده أن يرفق به اليوم في الدنيا على جهة المكافأة. وقوله: ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)﴾ [طه:٤٤]: أي

---

(١) تفسير القرطبي، (١٣/ ٩٥).

(٢) تفسير النسفي، (٢/ ٣٦٦).

كونا على رجاء أن يؤمن(١).

ويقول الزمخشري؛ في بيان هذا المعنى وتوضيحه: وقيل: لا تجيباه بما يكره، والطفا له في القول، لما له من حق تربية موسى، ولما ثبت له من مثل حق الأبوّة(٢).

وقد أشار إلى ذلك النيسابوري في تفسيره، "غرائب القرآن ورغائب الفرقان"، حيث قال:

سؤال: لمَ أمرا بتليين القول للعدوّ المعاند؟ وجوابه: لأن من عادة الجبابرة إذا أغلظ لهم في الكلام أن يزدادوا عتواً وعلواً.

وقيل: لما له من حق تربية موسى، شبه حق الأبوة(٣).

وقد أكد القرآن الكريم على القيام بحقوق الوالدين والأقربين؛ وإن كانوا من غير المسلمين، وأمر بحسن صحبتهما، كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)﴾ [لقمان:١٤-١٥].

يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾: والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال؛ إن كانا فقيرين، وإلانة القول، والدعاء إلى الإسلام برفق(٤).

---

(١) تفسير القشيري، (٢/ ٤٥٩).

(٢) الكشاف، للزمخشري، (٣/ ٦٥).

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، (٤/ ٥٤٧).

(٤) تفسير القرطبي، (١٤/ ٦٥).



ولذلك فإنه يجب على الداعية في هذا العصر عدم إغفال هذا اللون من الحوار، ومقتضياته من حسن التعايش مع الأقارب المخالفين له في الدين والمعتقد.

فحين يعرض الناس عن دعوة الله ولا يؤمنون بها، فإن المسلم لا يتوقف عن التفاعل مع الآخرين اجتماعياً وحضارياً، رائده في ذلك كتاب ربه، وأسوته نبيه – صلى الله عليه وسلم –، إذ القرآن أمر بالإحسان إلى الوالدين والجار، ولو كانوا على غير دين الإسلام، كما حثّ على البر وحسن العشرة مع الذين لم يتصدوا لمقاتلة المسلمين والاعتداء عليهم، كما كانت حياته – صلى الله عليه وسلم – نبراساً في التسامح وحسن التعايش مع الآخرين، ممن اختاروا إلفهم من العقائد والأديان.

المطلب الثالث: احترام خصوصية الأديان والمقدسات الدينية:

ومن أبرز ثمار حوار التعايش؛ التي تستفاد من حوار موسى عليه السلام مع فرعون؛ احترام خصوصية الأديان والمقدسات الدينية، والتي لا يستقيم التعايش مع الآخر بدونها، ولا شك أن ذلك يأتي بعد حوار الدعوة، وبيان الدين الحق، وإقامة الحجة على المخالفين، فإن لم يستجيبوا لدعوة الحق بعد إقامة الحجة؛ فلا مناص من حسن التعايش معهم؛ احترام الجميع لخصوصية الأديان والمقدسات الدينية للآخر، وقد قدمنا أن موسى عليه السلام بعد أن دعا فرعون وناظره وذكره؛ طلب منه إرسال بني إسرائيل معه، ولم يتعرض لدين القبط؛ قوم فرعون، لعدم استجابتهم لدعوته.

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى، كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ (١٥)﴾ [الزمر:١٤-١٥].

يقول الشوكاني في تفسير هذه الآيات: ﴿قل الله أعبد﴾، التقديم مشعر بالاختصاص، أي: لا أعبد غيره لا استقلالا، ولا على جهة الشركة، ومعنى ﴿مخلصاً له ديني﴾، أنه خالص لله غير مشوب بشرك ولا رياء ولا غيرهما، قال الرازي: فإن قيل ما معنى التكرير في قوله: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾، وقوله: ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾، قلنا: ليس هذا بتكرير، لأن الأول: إخبار بأنه مأمور من جهة الله بالإيمان والعبادة، والثاني: إخبار بأنه أمر أن لا يعبد أحداً غير الله. فاعبدوا ما شئتم أن تعبدوه من دونه، هذا الأمر للتهديد والتقريع والتوبيخ(١).

فلا مانع بعد القيام بإبلاغ الدعوة، وإقامة الحجة، من بيان بطلان وخسارة

---

(١) فتح القدير، للشوكاني، (٤/ ٥٢٢).



المخالفين للدين الحق، ولكن ذلك لا يمنع من حوار التعايش معهم؛ في حال عدم استجابتهم لحوار الدعوة.

وينبغي أن يركز حوار التعايش على النقاط المشتركة التي يتفق عليها المتحاورون، فيهدفون إلى تعميقها والتكاتف في سبيلها، وغالباً ما تصطبغ بالصبغة الأخلاقية أو المصلحية، كالحوار حول السلام العالمي والتعايش بين الأمم ومكافحة الشذوذ ومعالجة قضايا الانحلال الأخلاقي والتفكك الأسري.

وأبرز معالم هذا النوع من الحوار:

- الاعتراف بوجود الآخر واختياره للدين والمعتقد.
- الاعتراف باختلاف المتحاورين وخصوصية كل دين، ونبذ التوفيق والتلفيق بين أديان الأطراف المتحاورة.
- تجنب أو الحذر في البحث في المسائل العقدية الفاصلة، حفاظاً على استمرارية الحوار وضمان ديمومة التعاون على تحقيق القيم أو المصالح المشتركة.
- تجنب إطلاق الألفاظ المفسدة لأجواء الحوار، كإطلاق الكفر على المحاورين أو الحديث عن خلودهم في النار أو الطعن في مقدساتهم، وتجنب هذا ليس تسويغاً له البتة.
- إبراز أوجه التشابه والاتفاق بين الأطراف المتحاورة، والتركيز عليها لاستثمارها وتنميتها، وإقصاء أوجه التباين والافتراق لما لها من أثر سلبي على الحوار.
- الدعوة إلى معرفة الآخر كما يريد هو أن يُعرف، ورفع الأحكام المسبقة عنه، مع التأكيد على الدعوة إلى نسيان الماضي التاريخي، والاعتذار عن أخطائه،

والتخلص من آثاره[١].

المبحث الرابع: ثمار الحوار في استقرار المجتمع

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إسهام الحوار في استنقاذ المستضعفين.

لا شك أن من أهم ثمار الحوار التي تؤدي إلى استقرار المجتمع الإنساني؛ استنقاذ المستضعفين، ونصرة المظلومين، والعمل على دفع الظلم الواقع عليهم، وهذا ما يستفاد من حوار موسى مع فرعون، حيث إنَّ موسى عليه السلام قد جعل هذا الأمر من مقاصد رسالته، ومن أولويات دعوته، التي جاء بها إلى فرعون وقومه، ولهذا قال تعالى عن دعوة موسى عليه السلام لفرعون: ﴿وَقَالَ مُوسى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ (١٠٥)﴾ [الأعراف:١٠٤-١٠٥].

يقول أبو حيان؛ عن طبيعة هذا الحوار بين موسى وفرعون: "هذه محاورة من موسى عليه السلام لفرعون، وخطاب له بأحسن ما يدعى به، وأحبها إليه، إذ كان من ملك مصر يقال له: فرعون، كنمرود في يونان، وقيصر في الروم، وكسرى في فارس، والنجاشي في الحبشة، ولما كان فرعون قد ادعى الربوبية فاتحه موسى بقوله: ﴿ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ ﴾، لينبهه على الوصف الذي ادعاه، وأنه فيه مبطل لا محق، ولما كان قوله: ﴿ حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾؛ أردفها بما يدل على صحتها، وهو قوله: ﴿ قَدْ جِئْتُكُمْ﴾، ولما قرر رسالته فرع عليها تبليغ الحكم، وهو قوله: ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي

(١) الحوار مع أتباع الأديان – مشروعيته وآدابه، (ص: ٣٢-٣٣).

إِسْرائِيلَ﴾، والإرسال ضد الإمساك، ﴿ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ ﴾، أي حتى يذهبوا إلى أوطانهم، ومولد آبائهم، الأرض المقدسة، وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي وانقرض الأسباط غلب فرعون على نسلهم، واستعبدهم في الأعمال الشاقة، وكانوا يؤدون إليه الجزية، فاستنقذهم الله بموسى عليه السلام. والظاهر أن موسى لم يطلب من فرعون في هذه الآية إلا إرسال بني إسرائيل معه، وفي غير هذه الآية دعاؤه إياه إلى الإقرار بربوبية الله تعالى وتوحيده"(١).

وقد جعل ابن عطية محاورة موسى لفرعون لاستنقاذ بني إسرائيل؛ أهم مقاصد رسالة موسى عليه السلام، حيث يقول في تفسير هذه الآيات: وظاهر الآية وغيرها: أن موسى عليه السلام لم تنبنِ شريعته إلا على بني إسرائيل فقط، ولم يدع فرعون وقومه إلا إلى إرسال بني إسرائيل، وذكره لعله يخشى أو يزكى ويوحد كما يذكر كل كافر، إذ كل نبي داع إلى التوحيد وإن لم يكن آخذا به ومقاتلا عليه، وأما إن دعاه إلى أن يؤمن ويلتزم جميع الشرع فلم يرد هذا نصا، والأمر محتمل، وبالجملة فيظهر فرق ما بين بني إسرائيل وبين فرعون والقبط، ألا ترى أن بقية القبط وهم الأكثر لم يرجع إليهم موسى أبدا ولا عارضهم وكان القبط مثل عبدة البقر وغيرهم وإنما احتاج إلى محاورة فرعون لتملكه على بني إسرائيل(٢).

ويقول الزمخشري؛ في تفسير هذه الآيات، وبيان استنقاذ موسى لقومه: "﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾، فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة، التي هي وطنهم، ومولد آبائهم، وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي؛ وانقرضت الأسباط، غلب فرعون نسلهم واستعبدهم، فأنقذهم الله بموسى عليه

---

(١) البحر المحيط، لأبي حيان، (٥/ ١٢٧-١٢٩).

(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية، (٢/ ٤٣٦).



السلام"[(١)].

وقد امتن الله تعالى على بني إسرائيل بإنقاذهم من استعباد فرعون، وإهلاك فرعون وجنوده، وتمكينهم في الأرض من بعدهم، كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)﴾ [القصص:٥-٦].

يقول ابن كثير؛ في تفسير هذه الآيات:﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾. وقد فعل تعالى ذلك بهم، كما قال: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وقال: ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ٥٩].

فأراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى، فما نفعه ذلك، مع قدر الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري، بل نفذ حكمه، وجرى قلمه في القدم، بأن يكون إهلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده، وقتلت بسببه ألوفا من الولدان إنما منشؤه ومرباه على فراشك، وفي دارك، وغذاؤه من طعامك، وأنت تربيه وتدلله وتتفداه، وحتفك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه، لتعلم أن رب السماوات العلا هو القادر الغالب العظيم، العزيز القوي، شديد المحال، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[(٢)].

---

(١) الكشاف، للزمخشري، (٢/ ١٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير، (٦/ ٢٢١).

المطلب الثاني: إقرار الحرية وإنكار العبودية لغير لله.

ومن أهم ثمار الحوار التي تؤدي إلى استقرار المجتمع الإنساني؛ تسخير الحوار لإقرار الحرية وإنكار العبودية، وهذا ما يستفاد من حوار موسى مع فرعون، حيث اتخذ موسى عليه السلام ذلك الحوار سبيلاً إلى إنكار العبودية، التي فرضها فرعون على بني إسرائيل، والدعوة إلى تحريرهم من رق العبودية، فإن من مقاصد الأديان والشرائع التي جاء بها الأنبياء القضاء على العبودية والظلم، وترسيخ الحرية والعدالة، ولهذا قال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢].

يقول يحيى بن سلام؛ في تفسير هذه الآية: ثم قال: ﴿وتلك نعمةٌ تمنها علي﴾ [الشعراء: ٢٢]، لقول فرعون له: ﴿ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ لنعمتنا. ﴿أَنْ عَبَّدْت بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢]، فموسى بقوله لفرعون، أراد ألا يسوغ عدو الله ما امتن به عليه، فقال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢] فاتخذت قومي عبيداً وكانوا أحراراً، وأخذت أموالهم، فأنفقت عليَّ من أموالهم وربيتني بها، فأنا أحق بأموال قومي منك(١).

ويؤكد هذا المعنى ابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز"، حيث يقول: ثم حاجه عليه السلام في منه عليه بالتربية وترك القتل، بقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾، واختلف الناس في تأويل هذا الكلام، فقال قتادة هذا منه على جهة الإنكار عليه أن تكون نعمة، كأنه يقول: أو يصح لك أن تعتمد على نعمة ترك قتلي من أجل أنك ظلمت بني إسرائيل وقتلتهم، أي: ليست نعمة؛ لأن الواجب كان ألا تقتلني وألا تقتلهم، ولا تستعبدهم بالقتل، والخدمة،

---

(١) تفسير يحي بن سلام، (٢/ ٤٩٩).

وغير ذلك[١].

فقد أنكر موسى عليه السلام على فرعون استعباده لبني إسرائيل، مبيناً أن من مقاصد رسالته إنكار العبودية، والسعي إلى تحرير المستعبدين من ظلم الطواغيت، واستعادة حريتهم وكرامتهم.

يقول ابن كثير في هذا الشأن: ثم قال موسى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ أي: وما أحسنت إلي وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل، فجعلتهم عبيداً وخدماً، تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك، فهل يفي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم؟ أي: ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم[٢].

ويبين المراغي في "تفسيره"؛ إنكار موسى عليه السلام في محاورته لفرعون؛ قيامه باستعباد الشعب، حيث يقول: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾، أي: وما أحسنت إليّ وربيتني إلا وقد أسأت إلى بنى إسرائيل جملة، فجعلتهم عبيداً وخدماً، تصرفهم في أعمالك وأعمال رعيتك الشاقة. فهو ليس بشيء إذا قيس بما فعلته بالشعب أجمع، وكأنه قال: إن هذا ليس بنعمة، لأن الواجب عليك ألا تقتلهم ولا تستعبدهم فإنهم قومي، فكيف تذكر إحسانك إليَّ على الخصوص، وتنسى استعباد الشعب كله[٣].

وهكذا جمع فرعون كل ما حسبه رداً قاتلاً لا يملك موسى- عليه السّلام- معه جواباً، ولا يستطيع مقاومة، وبخاصة حكاية القتل، وما يمكن أن يعقبها من قصاص، يتهدده به من وراء الكلمات! ولكن موسى وقد استجاب الله دعاءه فأزال حبسة لسانه- انطلق- يجيب:﴿قالَ: فَعَلْتُها إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ. فَفَرَرْتُ

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطيه، (٤/ ٢٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير، (٦/ ١٣٨).

(٣) تفسير المراغي، (١٩/ ٥٢).



مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ، فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ. وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾!فعلت تلك الفعلة وأنا بعد جاهل، أندفع اندفاع العصبية لقومي، لا اندفاع العقيدة التي عرفتها اليوم بما أعطاني ربي من الحكمة. ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ على نفسي. فقسم الله لي الخير: ووهب لي الحكمة ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، فلست بدعا من الأمر، إنما أنا واحد من الرعيل ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، ثم يجيبه تهكماً بتهكم. ولكن بالحق: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾، فما كانت تربيتي في بيتك وليدا إلا من جراء استعبادك لبني إسرائيل، وقتلك أبناءهم، مما اضطر أمي أن تلقيني في التابوت، فتقذف بالتابوت في الماء، فتلتقطونني، فأربى في بيتك، لا في بيت أبويّ. فهل هذا هو ما تمنه عليَّ، وهل هذا هو فضلك العظيم؟!

فإن قيل: ما العلاقة بين الأمرين، أي: نعمة تربية موسى وتعبيد بني إسرائيل؟ فالجواب على ذلك قد بينه الفخر الرازي، حيث أجاب عن هذا من عدة وجوه.

يقول الفخر الرازي، في الجواب عن ذلك: فأما قوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾، فهو جواب قوله: ﴿ألم نربك فينا وليداً﴾ [الشعراء: ١٨]، فإن قيل: كيف يكون ذلك جوابه ولا تعلق بين الأمرين؟ قلنا: بيان التعلق من وجوه:

أحدها: أنه إنما وقع في يده وفي تربيته لأنه قصد تعبيد بني إسرائيل وذبح أبنائهم، فكأنه عليه السلام قال له كنت مستغنيا عن تربيتك لو لم يكن منك ذلك الظلم المتقدم علينا وعلى أسلافنا. وثانيها: أن هذا الإنعام المتأخر صار معارضا بذلك الظلم العظيم على أسلافنا وإذا تعارضا تساقطاً.

وثالثها: ما قاله الحسن: أنك استعبدتهم وأخذت أموالهم ومنها أنفقت عليَّ فلا نعمة لك بالتربية.

ورابعها: المراد أن الذي تولى تربيتي هم الذين قد استعبدتهم فلا نعمة لك عليَّ

لأن التربية كانت من قبل أمي وسائر من هو من قومي ليس لك إلا أنك ما قتلتني، ومثل هذا لا يعد إنعاماً.

وخامسها: أنك كنت تدعي أن بني إسرائيل عبيدك ولا منة للمولى على العبد في أن يطعمه ويعطيه ما يحتاج إليه[١].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٤/ ٤٩٧).



المطلب الثالث: عدم إغفال دعوة الملوك مع الرعية المخاطبين بالدعوة.

إن من أهم ثمار الحوار التي تتجلى من خلال محاورة موسى لفرعون؛ عدم إغفال دعوة الملوك والجبابرة؛ وإن كان الرعية المخاطبين بالدعوة في الأصل، فإن موسى عليه السلام بعث في الأصل إلى بني إسرائيل، ليحررهم من الرق، ويجدد فيهم ما اندثر من معالم التوحيد، ومع ذلك فإنه لم يغفل دعوة فرعون وملأه إلى الإيمان والتوحيد، وإقامة الحجة عليه، وحواره ومناظرته من أجل ذلك.

يقول الطاهر ابن عاشور في "تفسيره":

وإنما خص فرعون وملأه لأنهم أهل الحل والعقد الذين يأذنون في سراح بني إسرائيل، فإن موسى بعثه الله إلى بني إسرائيل ليحررهم من الرق الذي كانوا فيه بمصر، ولما كان خروجهم من مصر متوقفا على أمر فرعون وملئه بعثه الله إليهم ليعلموا أن الله أرسل موسى بذلك، وفي ضمن ذلك تحصل دعوة فرعون للهدى، لأن كل نبيء يعلن التوحيد ويأمر بالهدى، وإن كان المأمور من غير المبعوث إليهم حرصا على الهدى إلا أنه لا يقيم فيهم، ولا يكرر ذلك(١).

ورغم أن فرعون ليس مخاطباً أساسياً بدعوة موسى عليه السلام؛ فقد أمره الله تعالى بدعوته، وإقامة الحجة عليه، ولين القول معه، كما قال تعالى له ولأخيه: ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً ﴾. وهذا هو المنهج الشرعي في دعوة التوحيد، في كل زمان ومكان، وللناس جميعاً، كما قال تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾. قال أبو العالية: قولوا لهم الطيب من القول، وجازوهم بأحسن ما تحبون أن تجازوا به. وهذا كله حض على مكارم

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٩/ ٣٥).



الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً، ووجهه منبسطاً طلقاً، مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً ﴾. فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه(١).

ولذلك فإن دعوة موسى لفرعون لم تكن عبثاً، ولم تذهب هدراً، فقد آتت أكلها، وحققت ثمارها، فآمن سحرة فرعون، ورجل من آل فرعون، وماشطة ابنة فرعون، بل وآمنت امرأة فرعون، وضرب الله بها مثلا للذين آمنوا، وأصبحت من أفضل وأكمل نساء العالمين، كما ثبت في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. أخرجه البخاري ومسلم(٢).

وقد دعا القرآن الكريم إلى الحوار مع الآخرين حواراً رفيعاً مهذباً، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وكما قال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ، فمجرد الغلظة في الحوار واستخدام المفردات الجافة الفظة غير مرغوب، ناهيك عن سباب الناس وإيذائهم، وتحقيرهم وازدرائهم، وغير ذلك من الممارسات الناجمة أساساً عن عدم الاعتراف بالآخرين، وعدم الإيمان بجدوى الحوار نفسه، وهؤلاء لا ينبغي

---

(١) تفسير القرطبي، (٢/ ١٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٥٨)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾، الحديث رقم (٣٤١١)، ومسلم في صحيحه (٤/١٨٨٦)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، الحديث رقم (٢٤٣١)، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

لهم أن يتصدوا للحوار أو لا يمكن أن يحققوا منه أي نتائج إيجابية(١).

وفي هذه اللفتة يتبين لنا عدم إغفال الدعوة لكبار الملوك والزعماء، وألا ييأس الداعية المعاصر من استجابة الجبابرة والطواغيت لدعوة الحق، فإنهم وإن لم يستجيبوا لها؛ فلا بد أن تترك أثراً في نفوسهم، لا يقل عن الأثر الذي تركته دعوة موسى عليه السلام في نفوس فرعون وملئه، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤].

(١) الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني، (ص: ٢٠).

المطلب الرابع: ترسيخ الثقة بأن العاقبة والغلبة للحق وأهله.

إن المتمعن في حوار موسى مع فرعون في القرآن الكريم؛ يدرك أن من أهم ثمار ذلك الحوار؛ ونتائجه الحتمية؛ ترسيخ الثقة بأن العاقبة والغلبة للحق وأهله، مهما انتفش الباطل، واغتر بعنفوان قوته، وبغلبته المؤقتة، ولهذا نجد أن موسى عليه السلام يؤكد ذلك في حواره مع فرعون، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)﴾ [الأعراف:١٢٧-١٢٨].

يقول الطاهر ابن عشور؛ في تفسير هذه الآيات: خاطب موسى قومه بذلك تطميناً لقلوبهم، وتعليماً لهم بنصر الله إياهم، لأنه علمه بوحي الله إليه. وجملة: ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ ﴾؛ تذييل وتعليل للأمر؛ بالاستعانة بالله والصبر، أي: افعلوا ذلك لأن حكم الظلم لا يدوم، ولأجل هذا المعنى فصلت الجملة.

وقوله: ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾؛ كناية عن ترقب زوال استعباد فرعون إياهم، قصد منها صرف اليأس عن أنفسهم، الناشئ عن مشاهدة قوة فرعون وسلطانه، بأن الله الذي خوله ذلك السلطان قادر على نزعه منه لأن ملك الأرض كلها لله فهو الذي يقدر لمن يشاء ملك شيء منها وهو الذي يقدر نزعه، فالمراد من الأرض هنا الدنيا لأنه أليق بالتذييل وأقوى في التعليل، فهذا إيماء إلى أنهم خارجون من مصر وسيملكون أرضا أخرى(١).

ويقول محمد رشيد رضا؛ في تأكيد هذا المعنى: من سنن الله تعالى: سنة الله في إرث الأرض، واستخلاف الأمم فيها، والاستيلاء والسيادة على الأمم

---

(١) التحرير والتنوير، (٩/ ٦٠).



والشعوب. فقد بين الله تعالى لنا في قصة موسى مع قومه أن وطأة فرعون وقومه اشتدت على بني إسرائيل، وصرح بوجوب الاستمرار على تقتيل أبنائهم، واستحياء نسائهم، لأجل أن تنقرض الأمة بعد استذلال من يبقى من النساء إلى أن ينقرض الرجال، وما ازدادوا إلا ذلا وخنوعا – وهم مئات الألوف – كما هو شأن الشعوب الجاهلة المستضعفة، ولكن الله تعالى أمر رسوله موسى أن يمتلخ ذلك اليأس من قلوبهم بقوة الإيمان، بما حكاه عنه بقوله: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، أي بين لهم أن الأرض ليست رهن تصرف الملوك والدول بقدرتهم الذاتية فتدوم لهم، وإنما هي لله، وله سبحانه وتعالى سنة في سلبها من قوم، وجعلها إرثا لقوم آخرين بمحض مشيئته وسلطانه، ومدار هذه السنة على أن العاقبة في التنازع بين الأمم على الأرض التي تعيش فيها أو تستعمرها للمتقين، أي الذين يتقون أسباب الضعف والخذلان والهلاك[١].

وبهذا أتم الله المنة، وأكمل النعمة على بني إسرائيل، بتخليصهم من العبودية، وتمكينهم في الأرض، بعد إهلاكه لفرعون وقومه.

يقول الفخر الرازي، مبيناً ما امتن الله به على بني إسرائيل: واعلم أن نعم الله تعالى على بني إسرائيل كثيرة، استنقذهم مما كانوا فيه من البلاء، من فرعون وقومه، وأبدلهم من ذلك بتمكينهم في الأرض، وتخليصهم من العبودية، كما قال: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)﴾ [القصص: ٥، ٦]، جعلهم أنبياء وملوكاً، بعد أن كانوا

(١) تفسير المنار، (٩/ ٤٨١).



عبيداً للقبط، فأهلك أعداءهم، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، كما قال: ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴾ [الشعراء: ٥٩]، وأنزل عليهم الكتب العظيمة التي ما أنزلها على أمة سواهم، كما قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) ﴾ [المائدة: ٢٠] [١].

فإنقاذ المستضعفين، وتمكين المؤمنين، وجعل العاقبة والغلبة لهم؛ هي من السنن الإلهية الماضية في الأمم والشعوب، في كل زمان ومكان، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك مما ينبغي أن يكون حاضراً بقوة، في أبجديات ومناهج الدعوة الإسلامية المعاصرة.

---

(١) التفسير الكبير، للفخر الرازي، (٣/ ٤٧٧).



الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصـــــالحات، وبتيســـــيره تتحقق الأمنيات، أحمده سبحانه وأشكره، وأثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلم على نبيه ومصطفاه نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد :

فقد انتهى بحمد الله هذا البحث، والذي عشـــت في الدفاع عن الإســـلام ، ودحض أكذوبة الصليب ، فالحمد لله أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وقد وصـــلت –بحمد الله ومنته– إلى جملة من النتائج، يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

١) عدم اليأس من استجابة العالم المعاصر لدعوة الإيمان والتوحيد، فإنهم لن يكونوا شراً من فرعون، ولن يكون الداعية أفضل من موسى عليه السلام، وقد أمره الله تعالى أن يتلطف في دعوة فرعون.

٢) أن في حوار غير المسلمين؛ ومجادلتهم بالتي هي أحسن؛ والرفق في دعوتهم، ثماراً عظيمة، ستحقق أهدافها، وتظهر آثارها؛ ولو بعد حين.

٣) أن للحوار أهمية وأثرا بالغا في تصحيح العقائد، والتعايش مع الآخرين، والمساهمة في استقرار المجتمعات البشرية.

٤) ضرورة الحوار مع الكفار والملحدين المعاصرين؛ لما فيه من تعريف الملحدين؛ وغير المسلمين عموماً؛ بالإله الحق، وإقامة الحجة عليهم.

٥) حاجة المجتمعات اليوم للحوار الهادف، القائم على الحجج



والبراهين، مع عدم التنازل عن ثوابت الإيمان والتوحيد.

٦) أنَّ استقراء قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم، واستلهام فوائدها ودروسها؛ فيه ترشيدٌ وتصويبٌ لمنهج الدعاة، وحلولٌ لمشاكلهم، وجمعٌ لكلمتهم، وتوجيهٌ لهم نحو الفلاح والنجاح.

وهناك بعض التوصيات والاقتراحات والتي أجملها فيما يلي:

١) التطبيق العملي المستمر لفنون الحوار للمعلمين والمدرسين في المدارس والجامعات .

٢) إيجاد دورات تدريبية تقدم لشرائح المجتمع وللدعاة خاصة تبين لهم الحوار وضوابطه وآدابه مجاناً أو بأسعار رمزية.

٣) إبراز حوارات السابقين من سلف هذه الأمة بدأً بالنبي ﷺ ثم الصحابة والتابعين وضرورة الاقتداء بها.

٤) توصية الكثير من الجاليات الإسلامية المعاصرة؛ المقيمة في الدول الغربية؛ لمثل هذا الموضوع الهام؛ الذي يشكل بالنسبة لهم أهميةً كبيرةً في دعوة غير المسلمين، والحوار معهم.



ثبت المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم (جل منزله وعلا).**

- **الأدب المفرد:** محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، ط/ دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩ م.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي):** ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
- **البحر المحيط في التفسير:** أثير الدين محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ.
- **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.
- **تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)**، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت:٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- **تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن)**، محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.
- **تفسير القرآن العظيم** ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ .
- **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة):** محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

- **تفسير المنار**: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
- **الجامع الصحيح** ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ٢٥٦هـ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.
- **الجامع الصحيح** ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ٢٦١هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **الحوار مع أتباع الأديان – مشروعيته وآدابه**، منقذ بن محمود السقار، طبعة رابطة العالم الإسلامي.
- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي المتوفى سنة ٢٧٩هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.
- **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني المتوفى سنة ٢٧٣هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت.
- **سنن النسائي**، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- **طبقات المفسرين** ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ط/ مكتبة وهبة – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦ هـ.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري)**، نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (ت:٨٥٠هـ)، طبعة شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١ , ١٣٨٤ هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩م.

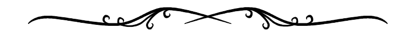


- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، دار المعرفة. بيروت- لبنان.
- **الكشاف**، أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
- **لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)**: علاء الدين علي بن محمد الخازن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥هـ.
- **اللباب في علوم الكتاب**، سراج الدين عمر بن علي ابن عادل الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- **لطائف الإشارات (تفسير القشيري)**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.
- **المحرر الوجيز**، عبد الحق بن غالب ابن عطية، دار الكتب العلمية – بيروت،١٤٢٢هـ.
- **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، مذيلة بتعليقات الذهبي، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
- **مسند أحمد بن حنبل**، أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني المتوفى سنة ٢٤١هـ، مؤسسة قرطبة – القاهرة.
- **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي ، دار إحياء التراث العربي



–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

- **معاني القرآن وإعرابه**، أبو إسحاق الزجاج ٣١١هـ، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
- **النكت والعيون (تفسير الماوردي)**، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.
- **الهداية الى بلوغ النهاية**، لمكي بن أبي طالب القيسي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، طبعة مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، علي بن أحمد بن محمد الواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م.





الفهرس